

أطلقها " القطان " واحتضنها المعلمون منتديات المعلمين للحوار التربوي والبحث التشاركي بين المبادرة والانطلاق (وقائع اليوم الدراسي - ١١ آب ٢٠٠٥)

إن هذه الورقة مثلت البداية النظرية والمفاهيمية لتجربة المنتديات، فقد شرعنا في كتابتها بالتزامن مع الشروع في تجسيد المنتديات كمارسة، ولذلك، فما تتضمنه كان نتيجة لعملية التصادي بين خطوات عمل المعلمين والتأمل فيها، بشكل جعل ما يكتب في هذه الورقة صدى لما يجري في واقع التجربة، وما يجري في حقل الممارسة صدى لما يكتب ضمن صيغة تفاعل جدلي يفتح كل منهما على الآخر في علاقة ترأسل: فما يكتب يوجه الممارسة العملية ويقراها، الممارسة التي بدورها تختبره وتمتحنه فتكشف عطلته لتصوبها، وقصوره لتعالجه، ولذلك، ننشرها في بداية ملف يوم المنتديات كمرآة تاريخية للتجربة، وصدى فكري للممارسة.



ضمن الرؤية العامة لمركز القطان للبحث والتطوير التربوي للمساهمة في رسم السياسات التربوية وتطويرها في فلسطين، ولدفع العملية التربوية التعليمية للارتقاء بها إلى مصاف الإبداع والحيوية لتأخذ موقعها الطبيعي في عمليات التنمية المجتمعية، باعتبارها عملية ثقافية تنموية تتخلق في فضاء اجتماعي، وتأمل إعادة خلقه عبر توفير السياقات المدرسية الملائمة لتحويل الطلاب إلى أفراد وأشخاص لكل منهم كينونته الفريدة، ولتحقيق هذا الهدف، ألا وهو الإسهام في تحسين التعليم في فلسطين ورفع مستواه الإبداعي وطاقته التغييرية والتنموية، كانت البداية من خلال العمل مع المعلمين والمعلمات باعتبارهم القطب الرئيس بعد الطالب في العملية التعليمية. ولذلك، ركز المركز جهوده في العمل مع المعلمين بوسائط متعددة وفي مساحات متنوعة: البحوث الإجرائية والتطبيقية، ورش العمل والمساقات الصيفية، المجموعات البؤرية والدورات التدريبية. ويسير المركز في هذا الاتجاه ويتأمل فاعليته ويفكر في تطويرها دوماً، فيكتشف أهمية عدم البقاء في دائرة العمل البحثي لاستشراف الجديد في عالم التربية بمعزل عن الاشتباك الحقيقي مع الواقع التربوي، كما هو في داخل جدران المدرسة وفي داخل حجرة الصف.

والمعرفة القادرة على مخاطبة ثقافة المعلم وتحفيزه على ردها بالمنشآت والمدخلات الثقافية والأدبية والمعرفية، بغية تفعيل هذه المنظومة وتوسيع أبعادها وتجديد طاقتها ومضائها من جهة، واستثمارها في مجال الكتابة والبحث للإسهام في حالة إنتاج المعرفة وتأسيس الفكر التربوي.

وهداية بالتقييم المستمر لعمل المركز الذي كشف فاعلية عمل المركز وأهميته، والحجم المعقول للإنجازات، إلا أنه كشف، أيضاً، أن عمل المركز يجب أن يتجاوز مشكلين يعاني منهما العمل التربوي التطويري في فلسطين، وعلى ضوء التحديد لهذين المشكلين، تم اقتراح المقترحات الآتية لتجاوزهما، وهي:

رابعاً - تجاوز الوضعية الحالية في التعليم التي تقزم المنهاج لتجعل حدوده تتطابق مع حدود الكتاب المدرسي، ما يحصر عملية التعليم في مساحات ضيقة جداً، لا تزيد على مساحة الكتاب، وهذا يقلل خيارات المعلم ويضيق آفاق المعرفة، ويحرم التعليم من الاستفادة من العالم الفيزيائي ومن جسد البيئة وموارده المتعددة، ومن طاقات وخبرات المجتمع المحلي وثقافته، ويشل فاعلية مرافق المدرسة من مكاتب ومختبرات ووسائل، ما يؤدي إلى استبعاد لكل النصوص والمعارف والإمكانات والطاقات المتحررة من إسهام الكتاب المدرسي، ولذلك تهدف المنتديات إلى العمل مع المعلمين نحو تبني اتجاهات جديدة ترى أن المنهاج المدرسي منظومة كلية مؤتنة من مركبات متعددة ومتنوعة؛ تشمل الذهني والمادي والمعرفي والوسائلي الإجرائي والتربوي والجمالي في صيغة فاعلة تتغيا تحقيق أهداف التعليم؛ ألا وهي تمكين الطلاب من فن الحياة، وتمكينهم من تطوير الكفايات والإمكانات الضرورية لتحقيق انغماسهم في المجتمع كذوات فاعلة ومنتجة.

أولاً - العمل مع المعلم في إطار رؤية كلية للعملية التعليمية بمختلف أبعادها المعرفية والتربوية والمجتمعية، وعدم اختزال التعليم إلى بعده التقني؛ فالعضلة ليس في الأساليب والتقنيات فقط، بل في الفلسفات والثقافات والسياسات والخلفيات الاجتماعية التي رشحت هذه الأساليب، وضمنت لها السيطرة والسيادة.

ومن هذا التقييم ومن المعانقة اليومية لمشاكل المعلمين واستكشاف انشغالاتهم، وعلى ضوء الرؤية الشمولية للمركز التي تنهض على أن الهندسات التطويرية لا بد أن تكون جزئية ولكنها مخططة في سياق هندسة كلية ومؤطرة ضمن حكاية الإنسان الكبرى، برزت ضرورة الاهتمام بالمنهاج المدرسية وتجلياتها المختلفة، وبخاصة في الكتاب المدرسي والثقافة المدرسية والعلاقات السائدة فيها، ولذلك تم

ثانياً - تجاوز حالة التدريب ذي الاتجاه الواحد باتجاه خلق حالة من التلاقح بين ما يملكه المعلمون/المعلمات، وما يملكه المركز، ومثل هذا التوجه محكوم بجملة من الاعتبارات، أهمها إن المعرفة حوارية، وإن الحوار يؤسس على قاعدة الشراكة والندية والتفاعل والاختلاف، وإن المعلم يمتلك رصيداً من المعرفة والخبرة يمكن الاستفادة منه، إذا ما توافرت الفرص لذلك، وإن مشكلات التعليم ليست معرفية فقط، ولا تطبيقية فقط، ولا هي مدرسية محضة، وإنما هي مركبة من كل هذه المستويات ومتجاوزة لها أيضاً.

ثالثاً - وضع التربية في سياق اجتماعي والتركيز على كونها فعلاً ثقافياً يتغيا إما تحقيق التوحيد الثقافي عبر تكريس هيمنة الثقافة السائدة، وإما تفعيل التعدد الثقافي وتغذية الاختلاف والتنوع الثقافي كضرورة للتأسيس للحوار والتنمية المجتمعيين. وعلى ضوء هذا الفهم، تسعى المنتديات إلى توفير المناخات الحوارية



جوانب منها مع الشق البحثي في المركز، إلى خلق مجموعة من المعلمين/ الباحثين في موضوعات اللغة والهوية والعلوم والتكنولوجيا والذاكرة والتاريخ من خلال مساءلة المنجز المعرفي وإعادة إنتاجه، ما يعني أن تتطلع المنتديات إلى تجاوز مسألة الحوار التربوي والتثقف الجماعي نحو عملية الإنتاج التشاركي للمعرفة في حقول اللغويات، والأدب، والتاريخ، والثقافة العلمية، للمساهمة في تطوير المناهج التعليمية، والحراك الثقافي، وحماية الذاكرة والهوية الفلسطينية، من خلال تعريف حدودها، ومقتنياتها، وكتابتها، وتأسيس الثقافة التكنولوجية مجتمعياً. وعبر هذه المحاور، تتطلع المنتديات إلى الإسهام في سجل السياسات التربوية ذات العلاقة، وتشكيل ما يشبه جهاز الإنعاش الذي يعمل على تنشيط إمكانات الحياة عبر التصدي لموضوعات حساسة تتعلق بالذاكرة والسرد واللغة والتاريخ وسياسات الهوية، وعبر اشتباكات أكاديمية وإعلامية وثقافية في مستويات متعددة.

المنتدى: جمع لقاء، فضاء، منبر، معمل للحوار والتفاعل.

ومساءلة للثيمات، واستنطاق للأصوات، وتفعيل للإمكانات، التي لا تعطى حيزاً في الثقافة التربوية الرسمية، ومن هنا شرع المركز في تأسيس منتدى الحوار التربوي للمعلمين/ المعلمات. والمنتدى يجمع فكري ثقافي أدبي تربوي يهدف إلى مساعدة المعلمين/ المعلمات على الالتقاء والحوار وتبادل الخبرة والمعرفة والإنتاج التشاركي للمعرفة، والمساهمة في رسم السياسات التربوية، وضخ القلق المستمر والحراك الدائم في الفكر التربوي.

ونحن نعمل وثلثي نستهدي بشعار:

(تعالوا نبحت عن المغيب...، وتبادل الخبرة، ونحيل أوسع تجربة ممكنة إلى وعي، ونفعل دور المخيلة والحلم في الفعل المدرسي).

والشعار ليس طاقة رمزية وتوجه رؤيوي فحسب، بل هو عنوان لممارسة وترسيم لمسارات فعل وسياسات عمل.

المنتدى بين التنمية الثقافية للمعلم والتطوير المهني

يأتي المنتدى كتجمع طوعي لمجموعة من المعلمين لتلبية مجموعة من الاحتياجات التي هي في حقيقتها احتياجات فكرية تربوية وتعليمية، وهي ذات بعد ثقافي، ولذلك ارتأينا أن يكون الهدف المحوري لعمل المنتدى ونشاطه هو تنمية المعلم فكرياً، حيث تكثيف الهدف في هذه البؤرة، ألا وهو فكر المعلم، يوفر للفعل فضاء واسعاً من جهة، ويمنع حصر الجهد في الإطار التربوي وكأنه معزول عن مضمون الفكر التساؤلي والثقافي الإنساني من جهة ثانية، ما يعني:

- تركيز النشاطات والفعاليات على تنمية فكر المعلم بشكل شمولي ومنفتح على النتاجات الأكثر غنى وحدادة.
- مقارنة الفكر في جوهره البنوي كطاقة تخيلية منتجة وجوهره الوظيفي

فتح قوس جديد للعمل، وهو تحليل المناهج وتقييمها بهدف الإثراء والتفعيل عبر إصدار مواد إثرائية، وترجمات تربوية، ورزم تعليمية، وهكذا انفتح فعل المركز في قوسين كبيرين: واحد مع المعلم في حقل التطوير، والآخر مع المنهاج في حقل التقييم والإثراء لتوسيع حدوده ومركباته ليشمل منظومة الأهداف والمعارف والأنشطة والتقويم ضمن مصفوفة جديدة تنهض على:

- تحديد الأهداف على شكل كفايات محددة، ولكن بشكل يمكن تحقيقه في فضاءات واسعة وبأشكال مختلفة وعبر محتويات متنوعة.
- استبدال فلسفة التعليم بفلسفة التعلم، وذلك يعني نقل بؤرة التركيز من المعلم إلى المتعلم، ومن المعلومة إلى النشاط، ومن مبدأ نقل المعرفة إلى مبدأ بنائها.
- استبدال نظام الاختبارات القائم على القياس لإصدار الأحكام والنتائج بنظام التقويم المستمر الفاعل المكسر لمعالجة نقاط الضعف، وتعزيز الكفايات المتوفرة، وتعميق عملها واشتغالها.
- إحلال مبدأ الدعم والتقوية الذي يعمل على اكتشاف الإمكانات القائمة والكامنة عند الطالب لتنميتها عبر نشاطات مخططة ومساعدات منظمة، تمكن الطالب من اكتشاف إمكانياته الكامنة والثقة فيها محل مبدأ المهوبة الذي يرى في الطلاب مواهب محددة مسبقاً وقدرات ثابتة.

وبعد المحاور والحوار كان الرأي وكانت الرؤيا: لا بد من اقتحام مساحات أخرى لوصول القوسين بعضهما ببعض مع الحفاظ على انفتاحهما، وتحقيق ذلك عبر استدخال فكرة تبني المدرسة " المدرسة وحدة تطوير "، وكان هذا المشروع قد بدأ يدخل طور التحقق عبر مشروع الشراكة بين المركز والمدرسة الإسبانية " مدرسة خولة بنت الأزور سابقاً"، وهذا سيمكن المركز من الانخراط الفعلي في الفعل التعليمي في واقعه المدرسي لمعايشة إشكاليات الممارسة المنهجية والتعليمية في واقع التطبيق الفعلي، واكتشاف أثر المدخلات البشرية والمادية في التعليم، وبناء تصورات عن واقع العلاقات والثقافة المدرسية، واختبار الأطروحات والرؤى والأساليب التي يقترحها المركز ويعمل على تفعيلها.

وبما أن المدرسة وحدة تقوم على التنوع في الاختصاص والتعدد في العمل: إداري، وتعليمي، وطلابي، ومنهجي، وغير منهجي، ومجمعي، فإنها ستمثل فضاءً مخبرياً مصغراً لواقع تعليمي تسهل معيّنته والشروع في الارتقاء به، وبذلك يتم وصل القوسين السابقين " العلم والمنهاج " في الفضاء المدرسي من جهة، ولاستكمال تدوير العمل وتنظيم مفرداته في إطار منظومة متكاملة من جهة أخرى.

تولدت فكرة المنتديات كتجمعات تقوم على وحدة التخصص، وعلى التنوع الجغرافي/ المدرسي، وإذا كان مشروع المدرسة يقوم على الشراكة لقراءة واقع التعليم بشكله العام في حيز ضيق وعياني ومكثف، والقبض على ميكانيزمات تطويره وتنميته لتفعيلها، فإن المنتديات تقوم على فكرة الحوار بين المعلمين ذوي التخصص الواحد والمدارس المختلفة، وبهذا يفتح الحوار على شبكة من المدارس ليسري في جسد المجتمع المدرسي، وينغلق الفضاء بين القوسين من الجهة الأخرى بدرجة أعلى وأوسع، بحيث لا يعود دائرة مغلقة، بل يفتح في مسار لولبي متصاعد.

منتدى الحوار التربوي: محاولة للتعريف

تقوم المنتديات، منتدى اللغة العربية والعلوم والتكنولوجيا والذاكرة الفلسطينية، تطبيقياً على فكرة مؤداها أن تفعيل مشاركة مجموعات من معلمي ومعلمات في حقول اللغويات والمواد العلمية و مواد العلوم الاجتماعية والتربية الوطنية والمواد ذات العلاقة في حقل اللغات والتربية الدينية لا يتم إلا من خلال انخراطهم في بلورة مفهوم " المنهاج الريف " وإنتاج المواد التعليمية، إلى أن يتم تعديل المناهج الحالية أو تغييرها. وبذا، تهدف المنتديات، ضمناً وعبر آلية تفاعلية تتقاطع في

وإن أمسى كذلك فهو لن يتحقق خارج السياق العملي والفضاء التجريبي، ولذلك انطلقنا ونحن نعتد مقولة "إن كل معرفة نظرية هي إضاعة، وكل خطوة عملية هي إراءة"، وبالضوء تنقش الظلمة وبالرؤية تختبر الأشياء وتمتحن المسارات، ومن هنا طرحنا جملة من النشاطات والفعاليات كمقترح للبداية التي ستعمق في ساحة الفعل والتجريب.

الأهداف المقترحة ليس كنقطة ثابتة على خريطة هادية، بل كمجموعة أحجار على طاولة شطرنج:

- فتح باب الحوار التربوي بين المعلمين لتبادل الخبرات.
- تقييم المناهج ومتابعة تدريسها في الفضاء الصفي.
- التعرف على فلسفة التعليم والنظريات المعاصرة في هذا المجال.
- التعرف على تجارب رائدة في مجال التدريس.
- الاطلاع على الكتب الجديدة للاستفادة من المنجز المعرفي في حقول الثقافة والفكر والتربية.

■ تنمية خبرات المعلمين/المعلمات في موضوعات توظيف القصة، والدراما، والكتابة، والحاسب، والشبكة المعلوماتية "الإنترنت" كوسائل وسياقات للتعليم.

■ ربط تعليم اللغة بالفن والثقافة عبر الانفتاح على النتاجات المتميزة في هذين الحقلين.

■ المشاركة في بناء قسم تفاعلي خاص بالمنتديات وانشغالها على الصفحة الإلكترونية لمركز القطان للبحث والتطوير التربوي تمكن المهتمين والمساهمين من داخل الوطن الفلسطيني وخارجه في الشتات من المشاركة في الحوار التربوي والبحث التشاركي.

الآليات والسبل المقترحة:

- قراءة كتب نوعية ومناقشتها عبر ورش أو عبر استضافة مؤلفيها.
- تنظيم دورات متخصصة في مجالات محددة.
- استضافة المبدعين والمختصين.
- عروض لتجارب المعلمين/المعلمات.
- تنظيم زيارات ونشاطات.
- تنظيم معارض.
- تنظيم رحلات وزيارات لمكتبات ومسارح ومراكز وآثار ومختبرات ومؤسسات.
- بناء علاقات مع مؤسسات.
- تنظيم نشاطات مع الطلاب في المدرسة وخارجها.
- إسناد الحالة الثقافية في البلد "كل منتدى في المحافظة الموجود فيها"، عبر الاطلاع على ما يصدر في مجال الإبداع والاحتفاء به كشراء عدد من النسخ وقراءتها، واستضافة الكاتب في حلقة نقاش، وتعميم الكتاب في المدارس، وتوجيه بعض الطلاب لقراءة مقاطع منه في الإذاعة المدرسية وفي الاحتفالات والنشاطات الثقافية.
- الاهتمام بالفنون: المسرح، الموسيقى، الفنون التشكيلية، الآداب: شعر، قصة، رواية، لتوظيفها في التعليم كسياقات وأدوات ووسائل من جهة، وكمناحات إبداعية تساعد على تنمية مخيلة الطلاب وتعميق وعيهم بقضايا الوجود والحياة وإشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل.

كعملية نقدية تقويمية، تهدم المسلمات والبدايات لتشييد للآتي والممكن أرض ضرورته.

● وضع التعليم في صميم الثقافة المدرسية كقوة نقدية مسائلة، ما يجعل الفعل المدرسي فعلاً ثقافياً يهدف إلى تطوير الثقافة المجتمعية وتنمية الإنسان باعتباره كائناً فريداً ومتميزاً من جهة، وهو أيضاً أساس التنمية المجتمعية ومآلها.

ولذلك، تأتي المنتديات ضمن فضاء الحوار الذي يسعى مركز القطان للبحث والتطوير التربوي إلى توفيره للمعلمين الفلسطينيين، في مجالات الأدب، واللغويات، والذاكرة، والتاريخ، والهوية الفلسطينية، التي تقارب في المنهاج الفلسطيني عبر موضوعات اللغة العربية والعلوم الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية) والتربية الوطنية، على قاعدة تنغياً للتجسير بين المعلم والمنهاج في الساحة التربوية الفلسطينية، وذلك من خلال تجمعات معلمين قائمة على وحدتي التخصص المعرفي (الموضوع الأكاديمي) والتنوع الجغرافي (الموقع المدرسي). تجتمع المنتديات بشكل دوري، أو شبه دوري، في مبنى المركز الكائن في رام الله، أو جغرافيات الوطن المختلفة، إذ يتم العمل، من خلال هذه المنتديات، على توسيع النطاق الذي لا يُعطى، في العادة، حيزاً كافياً في الثقافة المدرسية. ضمن هذه اللقاءات يتم العمل على تفعيل تلاحق المعلم مع محيطه الاجتماعي والثقافي والتركيز على التنوع والاختلاف، وذلك من خلال تغيير الاتجاه التربوي من تعليمي إلى تعليمي عبر تطوير المعرفة الحوارية، كما يتم توسيع دائرة المنهاج من خلال جعل زاوية النظر إليه والتعامل معه أكثر اتساعاً.

المنتدى في صيغته العملية:

- المنتدى ضمن هذا التوجه يحدد كملتقى مستقل لمجموعة من المعلمين والمعلمات، تقرر أن تتبنى هذه الرؤية لخلق فسحة للحوار فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين مؤسسات ومكونات المجتمع المحلي من جهة أخرى، وتعتمد في تسيير عملها على قاعدة التيسير الذاتي من خلال:
- الاعتماد على مبدأ الانضمام الطوعي ومبدأ التطوع الذي يتحول إلى التزام مسؤول.
- الاعتماد في العمل على مبادرات الأعضاء وجهودهم الذاتية.
- أعضاء المنتدى هم مرجعيته الأولى التي تقرر خطة عمل المنتدى، والتي تقر من قبل الأغلبية.
- تقوم علاقة المنتدى ومركز القطان على قاعدة المجال المشترك لكليهما، ألا وهو الاهتمام بالمعلم، والعمل معه للارتقاء بالعملية التعليمية، وعلى ضوء ذلك، تتحدد كعلاقة دعم مادي ومعنوي وتوجيهي من المركز إلى المنتدى عبر التنسيق المسبق، وعلى شكل خطة سنوية واضحة، وهذا لا يعني أن المنتدى امتداد لمركز القطان أو فرع له، وإنما هو تجمع مستقل ينسق مع مركز القطان على نشاطات وفعاليات تتفق مع غايات وتوجهات كليهما.

المنتدى في فضاء التطبيق: نشاط المنتدى بين حقيقة الواقع وآفاق المستقبل

تأتي تجربة منتديات الحوار التربوي في خضم عملية الاشتباك بين فلسفة الممارسة وممارسة الفلسفة من واقع تشابك وتعاضد التجربة والمعرفة بشكل يغذي كل منهما الآخر، ويعقلنه، ويفتح له الآفاق والمسارات. وبما أننا لم نلج إلى التجربة، ونحن خلو من الرؤية، فإننا لم ننتظر اكتمال الرؤية، حيث الاكتمال ليس غاية،